

مستقبل العمل في ظل الثورة التكنولوجية و ثورة المعلومات و الرقمنة

The future of work in light of the technological revolution, information revolution and digitization

L'avenir du travail à la lumière de la révolution technologique, de la révolution de l'information et de la numérisation

بودراع فوزي¹*

تاريخ الإرسال: 2025/08/04 تاريخ القبول: 2025/09/26 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص.

من المعلوم لدى العام و الخاص أن العمل يحتل مكانة رئيسية في المجتمعات الحديثة، فهو إحدى الركائز الأساسية للإقتصاد، هو المصدر الرئيسي للمداخل أفراد و جماعات، الذي يسمح بتوسع دائرة الإستهلاك و الرفاه الإجتماعي؛ هو السبيل الرئيسي للإندماج الإجتماعي و إكتساب المكانة الإجتماعية المرموقة و تحقيق الذات الإنسانية و حفظ الكرامة الشخصية.

العمل يشكل لنا الفئات المهنية، الممارسات الفردية و الجماعية، التصورات، التمثيلات، القيم و السلوكات، بشكل عام هو صورة للحياة الثقافية و الإجتماعية، و حتى الجمالية. هو عنصر أساسي للسياسي و الحكومات، للحملات الانتخابية، للخطابات السياسية، للضبط و السلم الإجتماعي، هو في قلب السياسات العامة للإندماج الإجتماعي و الحياة المهنية.

لكن اليوم أصبح مستقبل العمل و ندرته و أزمة الشغل هي تساؤلات و مواضيع بحث ملحة و طارئة في المجتمعات الحديثة نجد دومينيك ميدا Dominique Meda حول " العمل: قيمة في طريق الزوال"، جون بواسونا Jean Boissonnat " العمل خلال 15 سنة"، برنار بيرري Bernard Perret "مستقبل العمل: الديمقراطية في مواجهة البطالة".

سنحاول من خلال هذه الورقة الإقتراب من فكرة زوال قيمة العمل و القيم المرتبطة به و ربطها بالثورة الصناعية الرابعة ثورة المعلومات و الرقمنة، و كيف أثرت على مفهوم العمل كقيمة مكتسبة و بعد إجتماعي مهم و أساسي في حياة هذه المجتمعات، هي في تحول يهدد جوهرها و بقاءها.

الكلمات المفتاحية: العمل؛ البطالة؛ الثورة الصناعية الرابعة؛ الأتمتة؛ الرقمنة.

Abstract :

It is well known, both publicly and privately, that work occupies a central position in modern societies. It is one of the main pillars of the economy and the primary source of income for individuals and groups, allowing for the expansion of consumption and social well-being. It is the main path to social integration, the acquisition of prestigious social status, self-fulfillment, and the preservation of personal dignity.

Work shapes professional categories, individual and collective practices, perceptions, representations, values, and behaviors. In general, it reflects cultural, social, and even aesthetic life.

* المؤلف المراسل

¹ Boudra faouzi, university center of naama, Laboratory of sociological studies for social actors: Algeria, boudraa.fouzi@cuniv-naama.dz.

It is a fundamental element in politics and governance, electoral campaigns, political discourse, social regulation, and peace. It is at the heart of public policies related to social integration and professional life. However, today, the future of work, its scarcity, and the employment crisis have become urgent and pressing questions in modern societies. We find this reflected in the works of Dominique Méda in *“Work: A Vanishing Value”*, Jean Boissonnat in *“Work Over 15 Years”*, and Bernard Perret in *“The Future of Work: Democracies Facing Unemployment.”*

Through this paper, we will attempt to approach the idea of the decline of the value of work and its associated values, linking it to the Fourth Industrial Revolution—the revolution of information and digitization—and how it has affected the concept of work as an acquired value and a key social dimension in these societies, which are undergoing a transformation that threatens their essence and continuity.

Keywords: Work; Unemployment; The fourth industrial revolution; Automation; Digitization.

Résumé :

Il est bien connu, tant publiquement que dans la sphère privée, que le travail occupe une position centrale dans les sociétés modernes. Il constitue l'un des principaux piliers de l'économie et la première source de revenus pour les individus et les groupes, permettant l'expansion de la consommation et du bien-être social. Il représente la voie principale vers l'intégration sociale, l'acquisition d'un statut social prestigieux, l'épanouissement personnel et la préservation de la dignité individuelle.

Le travail façonne les catégories professionnelles, les pratiques individuelles et collectives, les perceptions, les représentations, les valeurs et les comportements. En général, il reflète la vie culturelle, sociale et même esthétique.

Il constitue un élément fondamental dans la politique et la gouvernance, les campagnes électorales, le discours politique, la régulation sociale et la paix. Il est au cœur des politiques publiques liées à l'intégration sociale et à la vie professionnelle.

Cependant, aujourd'hui, l'avenir du travail, sa rareté et la crise de l'emploi sont devenus des questions urgentes et pressantes dans les sociétés modernes. Cela se reflète dans les travaux de Dominique Méda dans *« Le travail : une valeur en voie de disparition »*, Jean Boissonnat dans *« Le travail dans quinze ans »*, et Bernard Perret dans *« L'avenir du travail : les démocraties face au chômage »*.

À travers cet article, nous tenterons d'aborder l'idée du déclin de la valeur du travail et des valeurs qui lui sont associées, en la reliant à la quatrième révolution industrielle — la révolution de l'information et de la numérisation — et à la manière dont elle a affecté la conception du travail en tant que valeur acquise et dimension sociale clé dans ces sociétés en mutation, des sociétés dont l'essence et la continuité sont aujourd'hui menacées.

Mots clés: Travail; Chômage; la quatrième révolution industrielle; Automatisation; Numérisation.

لطالما شكل العمل و لايزال يحتل مكانة أساسية و جوهرية في حياة المجتمعات، فهو أحد القواعد الرئيسية للإقتصاد، هو المصدر الرئيسي للدخل القومي و الفردي الذي يسمح بالوصول إلى إتساع دائرة الإستهلاك و تحقيق الرفاهية، هو أيضا الطريق الوحيد للإندماج الإجتماعي و تحقيق مكانة إجتماعية مرموقة و حفظ الكرامة الإنسانية، يشكل لنا الفئات المهنية، الطبقات الإجتماعية، الممارسات الجماعية و الفردية، بتعبير شامل هو الحياة الثقافية للمجتمع.

لكن في عالم يخضع لتطور متسارع، من المفاجئ أن يظل العمل حقيقة ثابتة لا تتغير، نتيجة لذلك أخذت مسألة العمل كمسألة إجتماعية حيزا كبيرا من الإهتمام و في قلب العديد من المناقشات لأهميته في حياة المجتمعات و تأثيراته الآنية و المستقبلية، حيث تكاثرت الكتب و المقالات خلال السنوات القليلة الماضية التي تُنبئ و تعلن عن تراجع و انحساره بشكل كبير، و التخوف من مستقبل مجهول، كما تظهره الكتب المنشورة على سبيل المثال لا الحصر، كتاب دومينيك ميدا "العمل قيمة تختفي"، كتاب "تحولات المسألة الإجتماعية" لمؤلفه روبرت كاستل، كتاب جيريمي ريفكين بعنوان "نهاية العمل".

تظهر هذه التوقعات الملحة و الطارئة في سياق إنتشار البطالة على نطاق واسع و ندرة العمل، حيث وصلت البطالة إلى أبعاد تجعلها مشكلة إجتماعية مركزية، باعتبار هذه المجتمعات قائمة على العمل المأجور كمصدر وحيد للدخل، و حلها من شأنه أن يخفف العديد من المخاطر و المشاكل التي يواجهها المجتمع و الذي تؤثر بدورها على ترابطه و تماسكه، كانتشار الفقر، الإقصاء، التهميش، الأقدمية في البطالة، زعزعة الترابط الإجتماعي، الإنتحار و غيرها من الظواهر المرضية الأخرى.

من الجدير الإشارة هنا و التنبيه أن مشكل ندرة العمل من عدمه و الوقوف عند أسبابها و أهم التحولات التي شهدتها، تختلف باختلاف طبيعة المجتمعات و درجات تقدمها و كذلك درجة إعتمادها على العمل، لو نتكلم عن المجتمعات الغربية، نجد هذه الأخيرة تعاني بشكل كبير من هذه المشكلة لأسباب موضوعية سنتحدث عنها في هذه الورقة، في حين هناك مجتمعات أخرى لم تصل إلى درجة دق ناقوس الخطر حول مسألة العمل أو التخوف من مستقبله لأسباب ما مثلا إعتمادها على مداخيل الريع و الثروات الباطنية.

من خلال هذه الورقة نسعى إلى التعرف قدر الإمكان على التوترات و التناقضات التي يمر بها واقع العمل اليوم و ربطها بالثورة الصناعية الرابعة، عصر ثورة التكنولوجيات المتقدمة و المعقدة، ثورة المعلومات و الرقمنة و الذكاء الاصطناعي، كلها علامات تحذر من نهاية عقد العمل الراتب المستقر، و هشاشة العمل.

1. الجذور الفلسفية و الإجتماعية لمفهوم العمل.

نستطيع القول أنه لا توجد ظاهرة لها تأثيرا أكبر على جودة و ظروف حياة الإنسان من العمل، لذلك فقد تم التعامل مع فكرة العمل على نطاق واسع قديما و حديثا من قبل العديد من التخصصات الأكاديمية كالفلسفة، القانون، الإقتصاد، علم الاجتماع، علم النفس.

هو لا يزال إلى يومنا هذا يشهد وتيرة مستمرة من البحث الفلسفي و الاجتماعي إضافة إلى التخصصات الأخرى، و في قلب العديد من المناقشات و الأطروحات الفلسفية و الاجتماعية، و هي كلها جهود مدفوعة بتصورات تفترض أن العمل يعرف تحولات و تغيرات مستمرة و دائمة في معانيه و دلالاته و قيمه مع تغير الأزمان و العصور، فقد حمل دلالات و معاني مختلفة من الإزدراء و الإنتقاص إلى التمجيد و التثمين (Méda,1995,p17).

فقد كان في الفلسفة الوسيلة لفهم وتحديد مكانة التجربة الإنسانية وعلاقته بالطبيعة الأم، وفي علم الاجتماع كان يُستخدم لتحديد الرابط الذي يربط الفرد بالمجتمع.

يمثل العمل في هذا السياق تجربة الإنسان في مواجهته للطبيعة، بهدف استخلاص ما هو ضروري لبقائه البيولوجي من خلال أفعال تغير شكل الطبيعة وحالتها. إنه الوسيلة التي يطبع بها الإنسان أثره على الطبيعة، بل وعلى الكون، ويشكل بذلك تجربة مشتركة تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى (Marx,1844,p76).

يُعد العمل كذلك الرابط الأساسي الذي يوحد الأفراد ضمن كيان اجتماعي، وهو الأداة التي من خلالها تتكون الحقوق والامتيازات والمكتسبات داخل المجتمع.

و بهذا فقد شكل مفهوم العمل منذ القدم إلى وقت قريب مجال اهتمام و اختيار كل من الفلسفة بدءا فهو يحمل إرثا فلسفيا تاريخيا طويلا، ثم علم الاجتماع لاحقا مع بواذر ظهور الثورة الصناعية و انتشارها.

في الكتابات الفلسفية القديمة في الأصل كان ينظر إلى العمل على أنه عقاب إلهي، آدم مطرود من الجنة ومحكوم عليه بالعمل، أصل الكلمة Tripalium و هي أداة استخدمت أول مرة لنعل الخيول، و تعني بالتالي أداة للتعذيب، و هذه الدلالة السلبية تعني أن العمل مصدر المعاناة.

كان العمل عند اليونانيين بمثابة عقاب للعبد، بينما كان النشاط الفكري و السياسي مخصصا للرجل الحر، فهو يفصل بين الفضيلة و النبل و الإنحطاط، و يميز بين السيد و العبد، بين طبقة النبلاء و الأسياد و طبقة العبيد؛ كل هذا يعبر عن احتقار كامل للعمل الذي يمثل أسوء المنفردات الرافعة عن الفكر الفلسفي و عائقا أمام الحياة التأملية الحرة، يؤكد الفيلسوف شيشرون Cicéron أنه من المتعذر انبثاق أي نبالة من دكان أو مشغل (بمعنى ورشة)، يطلق الفيلسوف سينيكا Sénèque مزاحا بقوله أن إجلال العمل اليدوي يعني جعل الإسكافي يحسب نفسه أنه فيلسوف، ومن المعلوم أن ليس من شأن الفلسفة أن تعلم الناس استعمال أيديهم بل إنها تسعى إلى تكوين أرواحهم (أرفون، 1989، ص 13).

كتب أرسطو في كتاب السياسة في الباب الأول أن العمل لا يمكن أن ينهض به غير العبيد، وهذا ما يسوغ الرق، وأن أحدهما وجد ليأمر و يقصد به هاهنا السيد و الآخر ليطيع، و خصائصهما بينة الاختلاف، أحدهما موصوف بالعقل و الحكمة و الفضيلة و الآخر بما هو محروم منهما؛ متحدثا حتى عن خصائص العامل في الباب الخامس من نفس الكتاب، بقوله أن العبد يشاركنا في معيشتنا، و العامل على العكس يعيش بعيدا عنا، و لا ينبغي أن يكون له من الفضيلة إلا بمقدار ماله من رق، لأن شغل العامل هو بوجه ما رق محدود، نفهم من كلام أرسطو أنه حتى العامل الذي يزاول عمله بيده يفتقر إلى الفضيلة و الحكمة و العقل فهو لا يختلف عن العبد المملوك (أرسطو، 2009، ص ص 128-129).

يصرح كذلك أفلاطون في القوانين أن الرغبة في الثروة تحرم عصرنا بأسره من أوقات الفراغ و تمنعنا من الإنصراف إلى كل ما ليس بملك خاص بنا، و يضيف كذلك بقوله أنه ينجم عن هذا الشره البهيمي للذهب و الفضة أن يكون كل امرئ مستعدا لاستخدام الوسائل و الأساليب أجملها و أشنعها من شأنه أن تزيده غنى (Platon, cité dans Méda, 1995, p. 19).

في علم الاجتماع يحتل مفهوم العمل مكانة محورية و مركزية لما له تأثير مباشر و عميق على الحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات، و قد أعيد تثمين العمل و تمجيده بحيث أصبح له قيمة إجتماعية مع ظهور الثروة الصناعية، حيث أصبح العمل رمزا للمكانة و الكرامة و الإنجاز الشخصي، هذا التغير في المفهوم و الدلالة يعكس تحولات عميقة في بنية المجتمع و تنظيمه الاجتماعي، ونظرته للإنسان من كائن تأملي إلى فاعل منتج، أين ظهرت أهمية العمل الرئيسية ظهورا ملحاً في حياة الأفراد و المجتمعات، فهو لايسمح فقط باشباع الاحتياجات الحيوية و زيادة ثروة الأمم على حسب ماكتبه آدم سميث في كتابه " بحث في طبيعة ثروة الأمم و أسبابها 1776"، بل يسمح بالاندماج الاجتماعي، و التنشئة الاجتماعية، و تشكيل الهويات الفردية و الجماعية، و الانتماء الطبقي، كلها أدوار من شأنها أن تساهم في الترابط المجتمعي و استقراره. على سبيل المثال لما بحث إميل دوركايم عن فهم قواعد الروابط الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة، تحدث عن العمل و تقسيم العمل، الذي هو حسب رأيه أساس التضامن الاجتماعي و الاندماج الاجتماعي (Durkheim, 1893, p24).

2. تعريف العمل بمعناه الحديث:.

في المعنى الحديث للكلمة، يعد العمل نشاطا إنسانيا كاملا، أي نشاط يمكن أن يكون ذا مغزى و هدف، لم يعد محصورا على فئة دنيا من البشر، لم يعد مرادفا أساسا للمشقة أو الجهد و القسر، بل أصبح يدل على الوظيفة التي يؤديها الفرد في إطار تنظيم اجتماعي للنشاط، فهو يعبر عن انخراط الفرد في نسق اجتماعي منظم يهدف إلى الإنتاج، سواء كان هذا الإنتاج ماديا (سلع، خدمات) أو رمزيا (أفكار، رموز، معرفة).

يعرف كارل ماركس العمل بقوله: " العمل هو قبل كل شيء عقد قائم بين الطبيعة و الإنسان، حيث يلعب الإنسان ذاته تجاه الطبيعة، دور إحدى القوى الطبيعية، فالقوى الممنوحة لجسده أي السواعد و السيقان، و الرأس و اليدين، يضعها كلها في حركة تهدف إلى دمج المواد اعطاءها شكلا ذا منفعة لحياته، فيسهم في الوقت ذاته بتغيير الطبيعة الخارجية و طبيعته الخاصة منميا بذلك مواهبه الكامنة فيه" (Marx,1969,p173).

يعرفه أيضا بتعبير آخر أن العمل هو "مجموعة من النشاطات ذات هدف إجرائي، يقوم به الإنسان بواسطة عقله و يديه و الأدوات أو الآلات، و ينفذها على المادة، و هذه النشاطات تسهم بدورها في تطويره"، (Marx,1980,p109) حسب رأيه العمل هو "عقد قائم بين الإنسان والطبيعة"، يلعب فيه الإنسان دور قوة طبيعية تُعيد تشكيل العالم عبر تحويل المادة الخام إلى منتجات ذات نفع. في هذا الفعل، لا يغيّر الإنسان العالم فحسب، بل يُعيد تشكيل ذاته، من خلال تطوير قدراته ومواهبه.

يُبرز ماركس هنا البُعد التكويني للعمل، بوصفه عملية مزدوجة: تحويل الطبيعة، وتحوّل الذات. وهو ما يجعل من العمل وسيلة مركزية للاغتراب أو للتحقق، حسب البنية الاجتماعية المحيطة به.

يعرفه صموئيل كلارك بقوله "أعني بالعمل بالأشياء المألوفة التي نقوم بها في الحقول، و المصانع، و المكاتب، و المدارس، و المتاجر، و المواقع البناء، ومراكز الإتصال، و المنازل، و ما إلى ذلك لكسب العيش" (Clark,2019,p46).

يضيف هو كذلك أن العمل له "القدرة على السماح لنا باتقان أنفسنا من خلال تطوير و ممارسة إمكاناتنا العقلانية بطرق جديدة بالاهتمام، في هذا السياق يعد العمل ساحة مركزية لتحقيق طبيعتنا البشرية عبر حياتنا"، فسموئيل كلارك، لا يكتفي برؤية العمل كأداء لوظائف يومية مألوفة في الحقول والمكاتب والمصانع، بل يرى فيه ساحة مركزية لتطوير الذات عبر ممارسة الإمكانات العقلية، مما يجعله شرطاً لتحقيق الطبيعة الإنسانية في بعدها الأكثر نضجاً..

مصطلح العمل تعني تجربة النوع الإنساني في مواجهة الطبيعة، لاستخراج و فصل العناصر الضرورية لبقاءه البيولوجي بفعل يهدف إلى تعديل شكلها و حالتها، هذه التجربة التي يترك بها الجنس البشري بصمته على الطبيعة و من خلاله على بيئته الكونية.

يعرفه المفكر الفرنسي برودون بأن العمل "هو الفعل الذكي الذي يتناول به الإنسان المادة، و هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، وما رسالتنا على الأرض إلا أن نتعلم كيف نعمل" (Proudhon,1970,p245). يُشدد على الجانب الخلاق في العمل، ويرى فيه ما يميّز الإنسان عن الكائنات الأخرى. فبالعمل، يترك الإنسان أثراً في الطبيعة ويؤكد تفرّده.

تعرفه سينتيا إستلوند بأنه " نشاط إجتماعي، هو أهم موقع للتفاعل التعاوني و التواصل الإجتماعي بين المواطنين البالغين خارج الأسرة" (Estlund,2003,p85)، و بالتالي يسعى الأفراد إلى العديد من المنافع الإجتماعية من خلال العمل.

ويرى عالم الاجتماع إميل دوركايم أن العمل يُعتبر عاملاً أساسياً في بناء التضامن الاجتماعي، حيث يُنتج تقسيم العمل بين الأفراد شعوراً بالترايب والتكامل داخل الجماعة. فكل فرد يشعر أنه جزء من كل اجتماعي، يؤدي وظيفة محددة يحتاجها الآخرون، مما يخلق نوعاً من الانتماء والتماسك.

يقول إميل دوركايم في هذا السياق أن "تقسيم العمل لا يخلق فقط التعاون المادي، بل يخلق أيضاً رابطة أخلاقية بين الأفراد الذين يشعرون أنهم يخدمون المجتمع من خلال وظائفهم".

3. قيمة العمل في المجتمعات المعاصرة.

العمل كقيمة إجتماعية مكتسبة لها من الأهمية بما كان في حياة المجتمعات المعاصرة فهي مجتمعات قائمة على العمل، و لا يمكن تصور الحياة الإجتماعية بدونه؛ ولدت مع تطور المجتمع الرأسمالي في العصر الحديث، و هي القيمة التي انتصرت في القرن 19 م مع الثورة الصناعية و تطور علاقات سوق العمل و العملية الإنتاجية و وسائل الإنتاج، ما تلاحظ دومينيك ميدا: "لم يُنظر إلى العمل باعتباره قيمة مركزية إلا مع بروز الحداثة الصناعية، حيث أصبح يشكّل المعنى الأساسي للهوية الاجتماعية والسياسية" (Méda,1995,p17) ستعيش المجتمعات في ما يطلق عليه "إمبراطورية العمل"، الإيديولوجية التي لم تعرفها المجتمعات السابقة قبل هذا التاريخ.

لعل أبرز الأدلة المؤيدة لقيمة العمل و مركزيته في الحياة الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة والتي تكشف لنا قيمة العمل الأساسية و ثقله و مكانته، هو ما نستخلصه من دراسات البطالة و هشاشة العمل، عادة ما تكون للبطالة آثارا إقتصادية على الأفراد بقدر ما تحرمهم مؤقتا على الأقل من الدخل؛ لكن البطالة المطولة لها أيضا آثارا سلبية قابلة للقياس على صحة الأفراد جسديا و عقليا، فضلا عن كونها من بين أكثر الظروف تسببا للتوتر في حياة الإنسان، من الواضح أن الحرمان من العمل يضر بشدة برفاهية الفرد و استقراره و أمنه الوجودي و بالتالي استقرار المجتمع ككل، حسب ماري جاهودا: "إن البطالة الطويلة الأمد لا تحرم الأفراد من الدخل فحسب، بل تقوّض شعورهم بالانتماء، وتخلق لديهم فقداناً لمعنى الحياة" (Jahoda,1982,p59).

إن قيمة العمل موضوع غني و معقد، و يتناول أبعادا متعددة فلسفية، اجتماعية، اقتصادية، و حتى أخلاقية، فلسفيا يرى فلاسفة أمثال هيجل و ماركس أن العمل ليس مجرد وسيلة لكسب العيش، بل هو نشاط يعبر من خلاله الإنسان عن ذاته و يحقق وجوده، كما ينمي وعي الإنسان بالعالم و بنفسه، و يمنحه شعورا بالتحكم و السيطرة على الطبيعة، يصرح هيجل أنه "عبر العمل، يُشكّل الإنسان العالم ويُشكّل ذاته في الآن نفسه" (Hegel,1807,p118) في حين يقول ماركس "في العمل، يؤكد الإنسان جوهره النوعي ككائن حر و واعٍ" (Marx,1844,p76)؛ اجتماعيا، من خلاله تساهم الأفراد و الجماعات في بناء و تقدم مجتمعاتها، و الشعور بالانتماء إلى مشروع مجتمعي، مما يمنحهم مكانة اجتماعية ويعتبر معيارا لتقييمهم من قبل الآخرين، وهو ما يؤكد إميل دوركايم أن العمل يُمثل ركيزة أساسية للتضامن الاجتماعي: "تقسيم العمل

ليس فقط وسيلة لزيادة الإنتاج، بل أيضاً لبناء الروابط الاجتماعية وتماسك الجماعة؛ إقتصاديا هو المصدر الأساسي لانتاج السلع و الخدمات، هو مصدر الثروة و رفاهية الأمم، كما يمنح الفرد دخل يُمكنه من تلبية حاجاته و تحقيق الإستقلال المادي كما يشير آدم سميث في كتابه الشهير ثروة الأمم "العمل هو المعيار الحقيقي لقيمة أي سلعة، وهو المصدر الأصيل لثروة الأمم" (Smith,1776,p48)؛ أخلاقيا، ينظر إليه كواجب أخلاقي لأنه يعبر عن إلتزام ومسؤولية الإنسان تجاه نفسه و تجاه مجتمعه، كما يمنح الإنسان كرامته الإنسانية، يقول بول ريكور أن العمل هو أحد أشكال "المسؤولية الأخلاقية" التي يثبت الإنسان بها كرامته وقيمته (Recoeur,2000,p212).

4. العصر الذهبي للعمل المأجور.

في دورة الحياة و قوانينها الثابتة، لا تنفك أي ظاهرة باختلاف نوعها و طبيعتها عن المرور بمراحل حاسمة تاركة أثرها عليها، وهي مراحل يمكن تقسيمها و حصرها في ثلاث مراحل لا أكثر: النشأة؛ القوة و المجد؛ الضعف و الإنحسار و التراجع.

العصر الذهبي للعمل هو تعبير و مسمى يستخدم عادة للإشارة إلى فترة تاريخية معينة تعكس مرحلة القوة و المجد و الذروة، اتسم فيها هذا الأخير بمكانة محورية في حياة الأفراد و المجتمعات و سمة جوهرية يتمتعون و يتفاخرون بها، تمتع خلالها الأفراد بحقوق و مكتسبات إجتماعية و مادية قوية، واستقرار وظيفي و أجور محترمة، كما ارتبط مفهوم العمل آنذاك بدلالات و معاني و قيم راقية تعبر عن الكرامة، و الإنتماء، و الرفاهية، و الدور الإجتماعي و المساهمة في البناء و الإزدهار المجتمعي.

هو يشير إلى الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى منتصف السبعينات (1945-1975)، خاصة في الدول الغربية الأوروبية الصناعية، و هو ما يطلق عليها في الكتابات بالسنوات الثلاثين المجيدة les trentes glorieuses، وهي عبارة أول من صاغها المؤرخ و الإقتصادي الفرنسي Jean Fourastié في كتابه الشهير سنة 1979 "الثلاثون المجيدة أو الثورة غير المرئية 1946-1975" لوصف حقبة زمنية من التقدم و الإزدهار الإقتصادي و الإجتماعي في أوروبا الغربية بعد الحرب يقول أن "الثلاثون سنة التي تلت الحرب كانت أسعد الفترات في التاريخ الاقتصادي لفرنسا".

(Fourastie,1979,p10)؛ حيث إنطلقت بعد الحرب مرحلة الإعمار الإقتصادي في هذه الدول، و بفضل خطط ضخمة كخطة مارشال نسبة إلى وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال آنذاك، الذي جاء ببرنامج تحت إسم: برنامج الإنعاش الأوروبي (European Recovery Program-ERP)، وهو برنامج إقتصادي ضخم أطلقته الو.م.أ سنة 1947 بهدف إعادة إعمار أوروبا و تأهيلها إقتصاديا، و مواجهة التمدد الشيوعي السوفياتي في أوروبا الغربية، بالإضافة إلى أهداف أخرى تخدم مصالحها التوسعية و الهيمنة العالمية (Milward,1984,p65).

بفضل برنامج ضخم كهذا نجم عنه طلب هائل على اليد العاملة في الصناعة و البناء و البنى التحتية، كما توافقت مع هذه الدينامية و الحركية في مرحلة البناء و إعادة الإعمار إرادة سياسية لبناء ما يسمى بدولة الرفاه l'état providence،

تعوض المواطن الأوروبي مخلفات الحرب و آثارها النفسية و الإجتماعية كالفقدان و الفقر و البطالة و انعدام الأمن و الحماية و الإستقرار، من خلال تأسيس لنوع من العقد الإجتماعي بين الشركاء الإجتماعيين من دولة و أرباب العمل و طبقة عاملة يضمن المصالح و الإمتيازات المكتسبة، كما الحقوق و الواجبات لكل طرف، يرى روبرت كاستل أن هذه الحقبة مثّلت "لحظة تأسيسية لعقد اجتماعي جديد بين الدولة والمجتمع" (Castel, 1995, p412).

حمل هذا العصر في طياته مجموعة من الخصائص التي تعبر عن مجد العمل المأجور و ذروة وفرة، و أثره الإيجابي و العميق و الملموس في حياة المجتمعات الأوروبية و بنيتها السوسيو-اقتصادية آنذاك، فقد اتسم هذا العصر بما يسمى بوفرة العمل "العمالة الكاملة" le plein emploi، كان التشغيل بشكل كبير جدا ومتاحا للجميع؛ شكل حقيقة ثابتة لا تتغير أو تزول، بحيث كل الفئات الإجتماعية و بمختلف أطيافها و أصولها المتعلمة و غير المتعلمة، مدنية كانت أو ريفية استفادت منه، فهو حق مكفول للجميع، تصف دومينيك ميدا هذا الواقع بقولها "كانت العمالة الكاملة تُعتبر حالة طبيعية ونهائية لمجتمعاتنا." (Méda, 1995, p138)، تضيف في نفس الصفحة أن العمل اعتُبر "حقيقة اجتماعية راسخة"، حتى شرط التكوين لم يكن مطلبا فالعامل يتكون و يكتسب مهارات الفنية و المهنية من خلال مزاولته لعمله مع مرور الوقت، هذا حقق إستقرارا وظيفيا بحيث الوظائف كلها دائمة و بعقد عمل بدوام كلي، عكس إنخفاضا كبيرا في معدلات البطالة لمستويات أدنى.

جلب الحماية الإجتماعية لمكونات المجتمع و خاصة الفئات الضعيفة و الهشة منها، أين لعبت الدولة دورا إجتماعيا و اقتصاديا لضمان حد أدنى من العدالة الإجتماعية و الحماية لجميع المواطنين، عن طريق سياسات الرفاه كضمان التقاعد، و الضمان الإجتماعي و التأمين من المخاطر و توفير السكن، و الحد الأدنى من المداخليل، بتعبير آخر وجود حماية قانونية للفئات العمالية و المهنية، يقول روبرت كاستل "لقد سمح العمل المأجور المستقر ببناء حماية اجتماعية جماعية، شكّلت أساسا لمواطنة اجتماعية حقيقية." (Castel, 1995, 412).

شكل لنا الطبقات الإجتماعية و الإنتماء الطبقي (الطبقة البورجوازية و الطبقة العاملة)، الهوية و الثقافة العمالية و الإنتماء الفردي و الجماعي و العلاقات الإجتماعية و المهنية يقول جاك هامل "لقد رسّخ العصر الذهبي للعمل المأجور مركزية العمل في الهوية الفردية والجماعية." (Hamel, 2020, p204)؛ أسس حوارات و نضالات مجتمعية، أين أعطى لأصحابه التمتع بالقوة الإجتماعية و السياسية، من خلال تأسيس النقابات العمالية مثلا، و تمثيلها لمصالح الفئات المهنية و المفاوضة عليها كالأجور و ظروف العمل، كذا تشكيل الأحزاب، فهو عصر مليء بالدينامية و الحركية و النشاط.

لقد حاولنا في هذا العنصر التعرّيج على العصر الذهبي للعمل كحقبة فائقة و ليست بالبعيدة، مبرزين مدى مكانته و تأثيره في حياة الإنسان و المجتمعات وما يحمله من عمق، و أنه بالرغم من أنه حقيقة مرتبطة بجوهر الإنسان، إلا أنه يعتريه كغيره

من الظواهر كما أسلفنا سابقا من تغيرات يمكن أن تسلبه قوته ووجوده، و هذا ما سنعالجه في جوهر ورقتنا هذه و هو واقع العمل اليوم ومستقبله في ظل الثورة التكنولوجية المتقدمة و عصر ثورة المعلومات و الرقمنة و الذكاء الاصطناعي.

5. مستقبل العمل في ظل الثورة التكنولوجية المتقدمة، ثورة المعلومات و الرقمنة و الذكاء الاصطناعي.

يبدو أن مفهوم العمل يشكّل صدىً لتحوّلات الفعل الإنتاجي الذي يُشير إليه. فقد طرأت عليه تحولات عديدة على المستوى العملي. العمل، في صورته النموذجية الكلاسيكية التي نشأت مع الثورة الصناعية، في طريقه إلى الزوال. لم يعد يتم وفق وتيرة منتظمة وبكثافة ثابتة بمعدل ثماني ساعات في اليوم، خمسة أيام في الأسبوع. فقد أصبحت الأسابيع التي تتراوح بين 60 إلى 80 ساعة شائعة بالنسبة لأولئك الذين يعملون بعقود أو لحسابهم الخاص. كما تتزايد فرص العمل بدوام جزئي بشكل سريع، وهي باتت من نصيب جزء متزايد من السكان، وخاصة الشباب.

من جهة أخرى، بدأ العمل يترك أماكنه التقليدية مثل الشركات والمكاتب والمتاجر، لينتقل إلى المنزل، وذلك بشكل أساسي بسبب تطوّر تقنيات الاتصال الحديثة: الحاسوب الشخصي، الإنترنت، الذكاء الاصطناعي، الرقمنة.

تنتشر الوظائف المؤقتة أو ذات الدوام الجزئي، والجدول الزمني المتغيرة، والعقود المحددة المدة بشكل كبير. ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، يعمل ثلثا السكان النشطين، أي حوالي 75 مليون شخص، أكثر من نصف وقتهم خارج الساعات النظامية. لقد أصبحت مرونة العمل قاعدة. وفي الوقت نفسه، يزداد حجم البطالة بشكل مستمر، متجاوزًا بكثير الأرقام الرسمية، كما يعترف بذلك إحصائيو الجماعة الأوروبية. ففي فرنسا، على وجه الخصوص، تشير التقديرات إلى أن ربع، إن لم يكن ثلث، السكان القادرين على العمل يعيشون البطالة، ويُقدّر عدد السكان المتأثرين بذلك في فرنسا وحدها بما بين اثني عشر إلى ثلاثة عشر مليون شخص. ومن المحتمل أن تكون هناك نسب مماثلة في كل من الولايات المتحدة وبريطانيا. (Hamel,2020,pp117-118)

هل يدفعنا هذا المشهد القائم للبطالة والهشاشة إلى إعلان "نهاية العمل" واعتباره أمرًا غير ذي فائدة؟ هل الشعار "العمل للجميع" ولى عصره، كما يؤكد العديد من الكتّاب؟ لا شك أن العمل المأجور، بوصفه الشكل النموذجي للعمل، يشهد تراجعًا واضحًا. ومع ذلك، لا يزال العمل قائمًا، وإن تغيّرت أشكاله.

من المراجع و الكتب التي يمكن الإعتماد و الإستناد عليها في معالجة موضوع مستقبل العمل في ظل الثورة التكنولوجية و ثورة المعلومات و الأتمتة و الحوسبة، كتاب " نهاية العمل the end of work" لمؤلفه جيريمي ريفكين الصادر عام 1995، و الذي يعد من أهم أعماله و أكثرها تأثيرا، و مبيعا في الو.م.أ، تناول فيه تحولات سوق العمل في ظل الثورة التكنولوجية الثالثة.

في هذا الكتاب الغني بالمعلومات، والذي يعالج مسألة العمل في الولايات الأمريكية المتحدة يعرض فيه تشخيصا للوضع، و دخول إلى مرحلة جديدة من التاريخ الإنساني تتسم بتراجع لا رجعة فيه في مجال العمل؛ رغم أن الكتاب نُشر قبل إنتشار الذكاء الاصطناعي و الأتمتة و الرقمنة و الروبوتات ذات التكنولوجيات المتقدمة و المعقدة كما نعرفه الآن، إلا أنه كان استشرافا بشكل مذهل و تنبأً بمستقبل مظلم للعمل.

لقد حاول جيريمي ريفكين Jeremy Rifkin في كتابه "نهاية العمل the end of work" تنبيه الرأي العام و حتى أصحاب القرار حول إختفاء العمل، و للدفاع عن وجهة نظره إعتد على قائمة طويلة من الوظائف التي تم الغاءها من الشركات الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية، يقول ليس نتيجة الأزمات الإقتصادية الظرفية المعتادة كما في السابق و التي يمكن التحكم فيها و معالجتها، و لكن نتيجة الثورة التكنولوجية و أنماط جديدة في التسيير و التنظيم وفي طرق الإنتاج، تعتمد على التكنولوجيا الرقمية و الحوسبة و الذكاء الاصطناعي، يضيف أن الدخول في عصر المعلومات و الرقمنة و الأتمتة ألغى ليس فقط المهام التنفيذية و البسيطة الأقل كفاءة و لكن حتى الأكثر كفاءة، أصبحت التقنية مكان هذه القدرات. ينطلق جيريمي ريفكين من فرضية أن التقدم التكنولوجي و لا سيما الأتمتة، و الروبوتات، و الحوسبة قوة لا يمكن إيقافها و ستقضي على الوظائف الجماعية، ستؤدي إلى انقراض و نهاية العمل بمفهومه التقليدي الكلاسيكي المتعارف عليه سابقا، و لن يكون من الممكن تعويض الوظائف المفقودة حتى في المستقبل، يصرح قائلا " نحن ندخل مرحلة جديدة من التاريخ، تتقلص فيها الحاجة إلى العمل البشري في الإنتاج، في كل القطاعات تقريبًا، بفعل الأتمتة والتقنيات الرقمية" (Rifkin,2000,p17) ، و هذا يفرض علينا إعادة التفكير في معنى العمل و كيفية توزيع الثروة و بناء إقتصاد اجتماعي جديد؛ فما شهدته المجتمعات الصناعية من ازدهار للمصانع و العمل المأجور ولى عهده مع ثورة المعلومات و الأتمتة أين تم استبدال التكنولوجيا بالإنسان.

يُظهر ريفكين تراجعا كبيرا للعمالة، و كيف أن الشركات تقلل من توظيف البشر و تعتمد على الروبوتات و البرمجيات في المجال الصناعي، يقول "حتى القطاعات التي كانت تعتبر "آمنة" مثل الخدمات، التعليم، الطب، بدأت تشهد أتمتة و حوسبة متسارعة" (Rifkin,2000,p65) ، فمع كل آلة جديدة يختفي عامل، و مع كل برنامج جديد تُختصر و تُحتزل وظيفة؛ في مجال الطب مثلا تسيير الأبحاث الحديثة أنه مستقبلا الروبوتات و البرمجيات ستكون لها القدرة على إجراء العمليات الجراحية المعقدة.

يضيف أن حتى الوظائف الجديدة المرتبطة بالتقدم التكنولوجي قليلة، بحيث تتطلب مهارات عالية و لا يمكن لكل الناس التكيف معها، فالعالم يشهد استقطابًا خطيرًا: فمن جهة، هناك نخبة من المديرين والباحثين والمختصين في معالجة المعلومات ممن يتمتعون بمؤهلات عالية جدًا؛ ومن جهة أخرى، هناك أغلبية من العمال الذين يعيشون أوضاعًا غير مستقرة.

من نتائجها و آثارها الاجتماعية بطالة هيكيلة و بنيوية دائمة، مع تفاقم في الفوارق الاجتماعية و لا عدالة اجتماعية، بحيث من يملك التكنولوجيا يزداد ثراء، ومن فقد عمله لا يجد بديلا لائقا عنه، مع تقسيم اجتماعي هش و غير متوازن، أقلية متحكمة في التكنولوجيا و أغلبية مهمشة تعاني البطالة المطولة.

ريفكين لا يكتفي بالتشخيص بل يقترح حلولاً عن طريق خلق اقتصاد اجتماعي جديد قائم على القطاع الثالث، أي المجتمع المدني، الجمعيات، التعاونيات، المنظمات غير الربحية، و الرعاية المجتمعية، يرى أن هذه القطاعات تستطيع خلق وظائف هادفة و ذات منفعة للمجتمع.

في أوروبا و بالتحديد فرنسا، ترى عالمة الاجتماع الفرنسية Anne-Marie Grozelier أن العمل بالفعل يشهد العديد من التحولات في أشكال التشغيل و العمل، هذه التطورات نجدها في المفاهيم الجديدة للتنظيم و إدارة النظم الإنتاجية، كلها هي علامات التحذير من تراجع عقد الراتب المستقر و هشاشة العمل.

تقول أنه يتعين على الجهات الفاعلة أن تتولى المستقبل المحتمل للعمل بدلا من ترك التطورات التنظيمية و التكنولوجية و المالية وحدها تترك بصمتها على مسار الأحداث.

في كتابها " لكي نُنهي الحديث عن نهاية العمل Pour en finir avec la fin du travail" الصادر 1998 ، في تعقيب نقدي على فكرة "نهاية العمل"، تنطلق من سؤال مركزي هل تراجع التوظيف و مجتمع الأجر تعني فعلا نهاية العمل؟، تجيب بلا، "تراجع التوظيف لا يعني نهاية العمل، بل هو نتيجة لتحولات في التنظيمات الاقتصادية والسياسات الليبرالية، وليس التطور التكنولوجي في حد ذاته" (Grozelier,1998,p19)، و تعتبر أن من يطرحون فكرة نهاية العمل غالبا ما يكرسون نوع من التشاؤمية و حالة من الإستسلام الاجتماعي، و بالتالي يدعمون أيديولوجية ليبرالية تدعو لتفكيك و إضعاف دور الدولة في تنظيم سوق العمل، تقول "من يروجون لفكرة نهاية العمل يكرسون لاستقالة اجتماعية تبرر الانسحاب السياسي للدولة" (Grozelier,1998,p34).

ولأنها تمثل وجهة نظر مناهضة للتيار الإلغائي الذي يطرح أن التقنية و الأتمتة ستقضي على العمل وأنها تسير بسرعة نحو تعويض البشر، لا فقط في الصناعات اليدوية، بل حتى في قطاعات الخدمات والوظائف الفكرية. و أن البطالة البنيوية ستصبح سمة دائمة في المجتمع، ما يُوجب البحث عن بدائل جذرية لفكرة العمل نفسها.

تؤكد أن العمل لن يلغى، بل يتطلب مؤسسات و سياسات جديدة لحمايته و تكييفه مع زمن ما بعد السوق "العمل لن يُلغى بل يجب حمايته من خلال سياسات عمومية عادلة، تضمن الحق في الشغل، وتعيد الاعتبار لوظائف الدولة الاجتماعية" (Grozelier,1998,p41) ؛ فهي ترفض فكرة نهاية العمل و تعتبرها مبالغا فيها، و أن سبب تراجع العمل السياسات الاقتصادية النيوليبرالية وسوء تنظيم سوق العمل، موقفها من التكنولوجيا ليس سببا بذاتها، بل يجب توجيهها

ضمن سياسات عادلة، كما أن البطالة ليست حتمية يمكن تقليصها باصلاح السوق و السياسات العامة، عن طريق الدولة و دورها الاجتماعي و الإقتصادي في ضمان حق العمل و تنظيم سوق العمل بدل الإنسحاب منه، مما يبقى للعمل ركيزته الأساسية للهوية الاجتماعية و المواطنة.

خاتمة

إن النقاش حول مستقبل العمل لم يعد مجرد جدل نظري، بل أصبح مسألة مركزية تمسّ صميم التنظيم الاجتماعي والاقتصادي في المجتمعات المعاصرة. ففي الوقت الذي يُحذّر فيه مفكرون أمثال جيري ريفكين من تآكل العمل التقليدي بفعل الأتمتة والثورة الرقمية، يظهر تيار آخر من الباحثين كدومينيكا ميدا و غروزيلييه لتؤكد أن العمل ليس مجرد وظيفة اقتصادية مهددة بالزوال، بل هو نشاط إنساني جوهري يؤسس للهوية الفردية، ويضمن الاندماج الاجتماعي، ويعكس القيم الجماعية. إن مستقبل العمل لا يمكن حصره في منطق التقدّم التكنولوجي وحده، بل يجب أن يُعاد التفكير فيه ضمن رؤية شاملة تدمج الأبعاد الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والبيئية. فالتكنولوجيا لا تلغي بالضرورة الحاجة إلى العمل، بل تدعونا إلى إعادة تعريفه وتنظيمه وتوزيعه بطريقة أكثر عدالة وابتكارًا.

وعليه، فإن التحدي اليوم لا يكمن في نهاية العمل، بل في إعادة اختراعه و هيكلته واعطاءه أوجه جديدة ليقدم الإنسان لأن يُقّصيه، وليكون أداة للكرامة والعدالة، لا للاستبعاد والإقصاء. فبين رؤى التشاؤم والتفاؤل، يبقى المسار رهين القرارات السياسية، والنماذج الاقتصادية، وإرادة المجتمعات في توجيه التغيير بدلاً من الخضوع له.

في سياق الدول النامية ودول العالم الثالث، يطرح مستقبل العمل فيها إشكاليات معقدة ومتشابكة، لا يمكن فصلها عن اختلالات التنمية بشكل عام، ضعف الهياكل الإنتاجية، والاعتماد المفرط على القطاعات غير الرسمية و الموارد الطبيعية. وإذا كانت البلدان الصناعية تواجه تحديات الرقمنة والأتمتة، فإن البلدان النامية تواجه "تراكم الأزمات": تأخر في التحديث التكنولوجي، هشاشة سوق العمل، بطالة هيكلية، وضعف أنظمة الحماية الاجتماعية، الصراعات و النزاعات السياسية. في هذا السياق، قد تتعرض هذه الدول لتهميش مضاعف في الاقتصاد العالمي نتيجة تخلفها عن اللحاق بركب الاقتصاد الرقمي التي تمشي فيه ببطء شديد.

فجيري ريفكين، يلفت النظر إلى أن الثورة التكنولوجية الثالثة قد تزيد من الهوة بين الشمال والجنوب، إذ أن "البلدان التي لا تملك بنية تحتية معرفية رقمية ستواجه لا فقط بطالة جماعية، بل اختفاءً تدريجيًا من دورة القيمة العالمية." (Rifkin, 2000, p174).

قائمة المراجع

- أرفون هنري،(1989)، فلسفة العمل، ط2، ترجمة الدكتور عادل العوّا، بيروت-باريس، منشورات عويدات.
- أرسطو طاليس،(2009)، السياسة، ط1، ترجمة أحمد لطفي السيد، لبنان: منشورات الجمل.
- Méda, D. (1995). Le travail: Une valeur en voie de disparition. Paris, France: Aubier. p. 17
- Marx, K. (1867). Le Capital. France: Éditions Sociales.
- Durkheim, É. (1893). De la division du travail social. Paris, France: Presses Universitaires de France. p. 24
- Méda, D. (1995). Le travail: Une valeur en voie de disparition. Paris, France: Aubier. p. 19
- Marx, K.(1969) Le Capital, Tome 1, France: Éditions Sociales, p. 173
- Marx, K. (1980) Manuscrits de 1844, France: Éditions sociales, p. 109
- Clark, S. (2019) Work and Identity in an Era of Precarity, Journal of Social Thought, Vol. 8, No. 2.pp1-15
- Proudhon, P-J. (1970) De la justice dans la Révolution et dans l'Église, France: Garnier-Flammarion, p245
- Estlund, C. (2003) Working Together: How Workplace Bonds Strengthen a Diverse Democracy, UK: Oxford University Press, p85.
- Méda, D. (1995). Le travail: Une valeur en voie de disparition. Paris, France: Aubier. p. 17
- Jahoda, M. (1982). Employment and unemployment: A social-psychological analysis. Cambridge, UK: Cambridge University Press. p. 59
- Hegel, G. W. F. (1807). Phénoménologie de l'esprit. Frankfurt, Germany: Suhrkamp. p.118
- Marx, K. (1844). Manuscrits économique-philosophiques de 1844. Paris: Gallimard. p. 76
- Smith, A. (1776). Richesse des nations, Paris: Guillaumin et Cie.p3

-
- Ricœur, P. (2000). La mémoire, l'histoire, l'oubli. Paris, France: Éditions du Seuil. p. 212
- Fourastié, J. (1979). Les Trente Glorieuses ou la révolution invisible de 1946 à 1975. Paris, France: Fayard. (p. 15(
- Milward, A. S. (1984). The reconstruction of Western Europe 1945–51. London, UK: Routledg
- Castel, R. (1995). Les métamorphoses de la question sociale. Paris, France: Gallimard. p. 412
- Hamel, J. (2001). Sur les notions de travail et de citoyenneté à l'heure de la précarité. Volume,48,Labour/Le travailleur.
- Méda, D. (1995). Le travail: Une valeur en voie de disparition ? Paris, France: Aubier. p. 138
- Rifkin, J. (2000). La fin du travail : Le déclin de la force du travail mondiale et l'avènement de l'ère post-marché (trad. P. Rouve; préface de M. Rocard). Paris, France : La Découvert, pp17–65
- Grozelier, A.-M. (1998). Pour en finir avec la fin du travail. Paris: Éditions du Seuil.pp19–34